مدرسة الأحزاب

ملخص
المحاضرة الثالثة

المحاضرة الثالثة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته...

قال تعالى: **(قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا)**

هذه الابتلاءات هي التي تكشف مكنونات النفوس. هي التي تُظهر الحقائق، سواءً في الأقوال أو الأفعال، وهي التي تحدد درجة إيمان كل فرد وتفصل بين المؤمن والمنافق.

لذلك الإنسان يجب أن يرى كل أحداث حياته على أنها مجرد اختبارات.

أنا شخصيًا أعتبر كل موقف يحدث في حياتي أمرًا مفيدًا لأنه يساعدني على معرفة نفسي. على سبيل المثال، إذا وجدت في نفسي خيرًا، أقول الحمد لله وأسعى لتعزيزه. وإذا اكتشفت في نفسي مرضًا مثل الكبر أو العجب أو الرياء، أو لاحظت أنني سريع الغضب، أبدأ فورًا في معالجة الأمر وأتخذ إجراءات حتى لا يستمر هذا المرض معي أو يكبر، وحتى لا يصيبني عند الخواتيم، والعياذ بالله.

قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ - **"قد"** هنا جاءت للتأكيد. **"المعوّقين"** منكم يعني الذين يثبطون المؤمنين. **"معوق"** من الإعاقة أي يثبط المؤمن.

هذه علامة من علامات النفاق، فالمنافق هو الذي عندما يرى الطاعة يحاول أن يضع العراقيل أمامها، سواء في نفسه أو في غيره.

وتعلمنا من النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان دائمًا يحول أي شيء يبدو سيئًا إلى شيء إيجابي. عندما يدخل على مريض ويكون في حالة صعبة، يقول له: "لا بأس، طهور إن شاء الله." الله! هنا كان النبي يوجه فكر المريض إلى الميزة في المرض، وهي أنه طهور، فالمرض يطهر الإنسان من ذنوبه.

وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا.

أي يقولون: **"تعالوا إلى الظلال والثمار، تعالوا إلى الراحة والنعيم. ما لكم وما للأحزاب والخندق؟ لماذا نتحمل الجوع ونربط الحجر على بطوننا؟ ما هذا الوضع؟ دعونا نعود إلى بيوتنا ونعيش في راحة مع أهلنا."**

وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا

هناك ثلاثة احتمالات لهذا المعنى:

1. أنهم يحضرون أحيانًا كي لا ينكشف أمرهم، فهم لا يغيبون تمامًا، بل يحضرون قليلاً كي يظهروا كأنهم مؤمنون.

2. أنهم يذهبون أحيانًا لتثبيط المؤمنين، وكانوا يتناوبون فيما بينهم. مثلاً، تذهب مجموعة منهم في هذه الغزوة لتثبيط المؤمنين، ثم تذهب مجموعة أخرى في غزوة أخرى للغرض نفسه، وهكذا يحرصون على وجود مجموعة منهم في كل غزوة.
3. أي أنهم يشاركون فقط في الغزوات القريبة التي تحتوي على مغانم.

في غزوة خيبر، حكم الله ألا يشارك فيها إلا من شهد الحديبية، ولم يكن فيها أي منافق. فالله سبحانه وتعالى قال إنه لن يذهب إلى خيبر إلا الذين حضروا في الحديبية. وعندما علم المنافقون بحكم الله، شعروا بالحزن الشديد وقالوا: **"لماذا لا تأخذوننا معكم إلى خيبر؟ خيبر جميلة!" لكن لماذا لم تأتوا في الغزوات السابقة؟ ولماذا خيبر تحديدًا؟ لأن خيبر كانت قريبة وتحتوي على مغانم.**

أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ

1. **المعنى الأول**: بخلاء عليكم بما ينفعكم عمومًا، سواءً بالخير أو بالشفقة أو بالتعاطف أو بالكلام المحفز أو بالنفقة.
2. **المعنى الثاني**: عندما تأتي الغنيمة، يأخذون حقهم كاملاً ولا يتركون شيئًا.

فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ

عندما تأتي المعركة ويواجه القتال، ويكون العدو على الأبواب، ترى أجبن الناس وأحقرهم. يرتعبون ويشعرون بالرعب، لأنهم لا يرجون الدار الآخرة، وهم متمسكون بالدنيا بشكل كبير. من شدة خوفهم، تجد أعينهم تدور في محاجرها وكأنهم متجمدون.

كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ، يشبه الشخص الذي يوشك على الموت.

لا يوجد خوف، فنحن في أمان. انظر إلى أشجع شخص في الدنيا، انظر إلى سيد الشجعان. فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ

سَلَقُوكُمْ تعني أنهم بسطوا ألسنتهم، أي تكلموا بكلام بليغ وفصيح، واستقبلوكم بعبارات رنانة ومدح لأنفسهم.

أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ؟ يعني أنهم حتى وهم يصفون أنفسهم بالمناقب والبطولات، يصفونكم بذم في وصفهم.

أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ

هذه عبارة مخيفة جدًا، إذ تعني أن مواقف الشخص تجعل الله يحبط عمله. في كلمة واحدة، ما أسرع هذه المصيبة. إنه شيء مرعب.

كم من كلمة صنعت عالمًا، صنعت داعية. يقال إن الإمام الذهبي كان خطه جميلًا، فقد رأى أحد العلماء خطه وقال: "خطك يشبه خط المحدثين"، فطلب منه الحديث وصار الإمام الذهبي.

يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا

من شدة سوء ظنهم بالله، يُقال لهم إن الأحزاب قد غادرت، وأن الرياح قد قامت، وأن الملائكة تدخلت، لكنهم لا يصدقون. كيف يمكن أن يرحل عشرة آلاف شخص؟ وما معنى قدوم الريح؟ وما معنى وجود الملائكة؟ كل هذه الأحاديث لا تصدق لديهم.

وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ.

إذا جاء الأحزاب فعلاً ودخلوا المدينة، يتمنون ألا يكونوا موجودين فيها، بل يتمنون أن يكونوا في الصحراء، أي أن يكونوا بعيدين عن القتال.

يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ

أي أنهم يريدون أن يسمعوا عن أخباركم من بعيد. لا يريدون الاقتراب منكم، بل يفضلون البقاء بعيدين.

وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا

بسبب شدة جبنهم وضعفهم. وهذا يذكرني بمواقف تحدث في بلاد المسلمين. فبعض الناس يقولون: "الحمد لله أن موضوع غزة بعيد عنا." هناك من يشعر بالفرح لأنهم بعيدون عن أزمات المسلمين. بينما هناك آخرون يتمنون أن يكونوا معهم، ويرغبون في فعل أي شيء. يتمنون أن يقفوا جنبهم، ولو بالمشاعر، ليشعروا أن هناك من يساندهم، ويشعرون بالحزن لعدم قدرتهم على التواجد معهم.

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا

أيها المؤمنون، اتركوا هؤلاء المنافقين، وانظروا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. ماذا فعل؟ كان دائمًا أول من يتواجد في المشهد. حفر الخندق معكم، وكان الصحابة يرون التراب يتساقط على صدر النبي صلى الله عليه وسلم. ونزل بيده الشريفة ليكسر الصخرة التي كانت تعيق حفر الخندق.

ذات مرة، جاء صحابي من شدة الجوع وقد ربط حجرًا على بطنه. كأنه كان يقوم بتكميم معدته، لكن بحجر. كان يضع الحجر على بطنه ويشد عليه بشدة حتى لا تصرخ معدته من الجوع. فقال: **"ذهبت إلى النبي صلى الله عليه وسلم لأشتكي له، فرأيته قد ربط حجرين على بطنه."** هذه هي الأسوة الحسنة. ماذا استفدت من ذلك؟ استفدت أن أطبق هذه الآية في حياتي. ففي كل موقف، وفي كل حدث، يجب أن أسأل نفسي: **ماذا فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم؟**

مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا

إذاً ليس الجميع على نفس الحال، بل هناك من صدق ومن لم يصدق. **ما هو العهد الذي عاهدنا الله عليه جميعًا؟**

طالما أنك مسلم وترغب في الجنة وتقرأ القرآن، فقد عاهدنا جميعًا. عاهدنا على السمع والطاعة في المنشط والمكره، وعلى النفقة في العسر واليسر.

أي عهد تم أخذه على الصحابة هو عهد قد أخذناه أيضًا. فكل عهد تراه في القرآن، طالما أنك مسلم ومؤمن به، فإنك توافق على تلك العهود جميعًا.

الرجولة مواقف وصدق

ماذا يعني مِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ؟ كلمة "نحب" تأتي بمعنيين، فهي تعني العهد، كما تعني أيضًا الموت.

وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا يعني أنهم لن يغيرهم شيء. هذه آية تُمجّد الصحابة، الذين شهدوا أشياء كثيرة في حياتهم. فقد عانوا من فقر شديد، كما شهدوا غنىً عظيمًا. كانوا في أوقاتٍ أفقر الناس، وفي أوقاتٍ أخرى أصبحوا ملوك الأرض.

سيدنا يوسف عليه السلام، عندما كان في السجن، لم يعرفه أحد، لكنهم قالوا له: **"إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ"**. وعندما أصبح ملكًا، جاءه إخوته ولم يعرفوه، فقالوا له: **"إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ"**.

هكذا يكون المؤمن، لا يتبدل ولا يتغير.

لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ

المنافق هنا، ليس كافرًا فحسب، بل إن هذا يستدعي أن يُفهم أن الكافر سيعذب بالتأكيد. أما المنافق، فإن كان كافرًا، فهو تحت المشيئة. لكن يمكن أن يعني أيضًا أنه إن تاب الله عليه، قد يغفر له.

إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا

إذاً، فإن عذاب المنافقين قد يكون إن شاء الله مستمرًا بسبب نفاقهم حتى يموتوا عليه، فيعذبهم. ولكن هناك احتمال آخر، وهو أن يهديهم الله، ويتوب عليهم، ويغفر لهم، ثم يدخلهم برحمته إلى الجنة.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.